

## اختراق ممالك النصارى للمجال الأندلسي خلال عصر الطوائف (قراءة في السياقات والأسباب)

### The penetration of the Christian kingdoms into the Andalusian domain during the “ Taifa Kings “era (A Reading in the contexts and causes)

الباحث/ محمد لوعراك

طالب باحث في التاريخ الوسيط، جامعة سيدي محمد بن عبد الله سايس، فاس، المغرب

Email: [Louarak.Med@gmail.com](mailto:Louarak.Med@gmail.com)

#### ملخص البحث:

يرجع اهتمامنا بفترة ملوك الطوائف في الأندلس خلال العصر الإسلامي الوسيط، إلى كونها محطة تاريخية حبلى بكل أنواع التناقضات المجتمعية التي أفرزت نوعا من القابلية بالمعنى السلبي، لكل أنواع الخنوع والخضوع والتبعية للملوك النصارى الذين ظلوا لعدة عقود بل قرون يتربصون بالأندلس ويتحرشون بسكانها في إطار ما يعرف بـ ”حروب الاسترداد“.

إن الهدف من هذا المقال، الوقوف عن كذب عن دور العوامل السلبية الذاتية التي وجدت أساسا لها منذ فترة ملوك الطوائف الذين عجزوا عن الذود عن الأرض والشرف، لأمرض في الأنفس ظلت تفعل فعلها لعدة قرون، والتي انتهت في آخر المطاف بسقوط الأندلس. الذي دحضنا ربط سببه باجتماع كلمة النصارى ووحدهم. وهنا بالذات تكمن أهمية دراسة الماضي في علاقة مع الحاضر، إذ نجد أنفسنا أمام سنن تاريخية وقوانين ثابتة تجعل من المسلمين في كل الأزمنة هدفا سهلا للأعداء كلما تم التطبيع مع الخيانة السياسية والظلم الاجتماعي والفساد الأخلاقي، وهي عوامل هدم داخلية أخطر بكثير مما للعامل الخارجي من تأثير.

**الكلمات المفتاحية:** المجال الأندلسي، الممالك النصرانية، ملوك الطوائف، القابلية للهزيمة النفسية، وهن المجتمع الأندلسي.

## The penetration of the Christian kingdoms into the Andalusian domain during the “ Taifa Kings “era (A Reading in the contexts and causes)

**Mohammed Louarak**

Rescue / University of Sidi Mohamed Ben -Conservation -PhD student, History Laboratory: Study  
Abdallah Sais - Fes / Morocco

### **Abstract:**

Our interest in the period of the” Taifa kings” in Andalusia during the medieval Islamic era is based on the fact that it is a historical period, full of numerous social contradictions that have produced a kind of susceptibility in the negative sense, for all sorts of subservience to the Christian kings who remained for several decades, even centuries, lying in wait for Andalusia and threatening its inhabitants in the context of what is known” Reconquista wars”. This paper aims to explore the role of the negative self-factors during the period of “Taifa kings” that had been unable to defend the land and honor due to psychological disabilities within themselves. This persisted for several centuries and ultimately finished with the fall of Andalusia. We refuted the proposition that links the issue of that fall to the meeting of the Christians' word and their unity. And here, in particular, lies the importance of studying the past in relation to the present, as we find ourselves in front of historical norms and fixed laws that make Muslims at all times an easy target for enemies whenever normalization takes place with political betrayal, social injustice and moral corruption, which are internal destructive factors that are much more dangerous than the influence of the external factor.

**Key words:** Andalusian domain - Christian kingdoms -Taifa kings - susceptibility for psychological defeat - weakness of Andalusian society-

## تقديم:

يقول امحمد بن عبود عن حكم ملوك الطوائف في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري (ق.11م): «من النادر أن تتمكن كيانات سياسية صغيرة من المحافظة على استقلالها الذاتي، طيلة المدة التي استطاعت دول الطوائف خلالها إنجاز ذلك. وما تزال هذه الظاهرة تتسم بالغموض، لأن التاريخ الأندلسي خلال القرن الخامس للهجرة ما يزال بدوره بحاجة إلى الكثير من البحث. ومن جراء ذلك ظهرت الضرورة الملحة للنظر إلى فترة ملوك الطوائف نظرة جديدة تأخذ بعين الاعتبار مدى تأثيرها في التاريخ الأندلسي كله»<sup>(1)</sup>.

في هذا الإطار سنحاول تحديد ماهية العلاقة بين حدث تاريخي بارز من حجم ضياع الأندلس من يد المسلمين نهاية القرن التاسع الهجري (ق.15م)، في سياق المد المسيحي المرتبط بما عرف تاريخيا بحروب الاسترداد، وفترة حكم ملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري (ق.11م)<sup>(2)</sup>، وذلك من خلال تعميق البحث والتركيز على دور عوامل الهدم الداخلية في تسهيل مهمة أي عدوان خارجي، والتي لم تقف آثارها السلبية عند حدود السنوات المتصلة بالفترة المعنية في مقاربتنا، بل وستمتد الآثار تلك إلى مدى زمني بعيد، بعد أن تراكمت كل الأسباب التي أذنت بأفول نجم المسلمين في الأندلس، والتي تعد فيما يبدو مختبرا لاستلهام الدروس والعبر، في علاقة مع موضوع «الراهنية»<sup>(3)</sup> الذي يعطي لدرس التاريخ معنى في عصرنا الحاضر.

إن مقاربتنا المتواضعة هذه تهدف البحث في الأسباب الحقيقية وراء قدرة الممالك النصرانية اختراق المجال الأندلسي من الأطراف، وحدود تحقيق مشروعها الودودي الذي يهدف استرداد أرض الأندلس. في نفس الوقت الذي سنحاول فيه الوقوف على حجم مسؤولية الأندلسيين التاريخية في سقوط الأندلس بيد النصارى. إذ يمكن اعتبار أحداث القرن الخامس الهجري مرحلة مؤسسة لذلك السقوط. ولن يكون الموضوع ذا قيمة علمية إلا باستنطاق النصوص المصدرية، والتوغل داخل متون الروايات على اختلاف الظروف التي كتبت فيها، لفهم حقيقة ما شهدته الأندلس من تحولات خطيرة خلال حكم الطوائف، وأهم تجليات الأزمة والأسباب الحقيقية التي ستتراكم لترمي بثقلها على القرون الموالية. مع العلم أن مجموعة مهمة من المقاربات التاريخية، أجمعت على أن المرابطين في تجربهم الودودية، استطاعوا بتوحيدهم الأندلس مع بلاد المغرب، هو الذي سيؤخر سقوطها ليس ككيان سياسي ومجتمعي، بل وكحضارة ساهمت بشكل من الأشكال في استفاقة أوربا النصرانية من سباتها العميق.

ضمن هذا الإطار العام سنحاول الإجابة على ثلاث إشكاليات رئيسية تهم التأصيل لقضية ضياع الأندلس، والتي تؤكد على أن التاريخ عبارة عن حلقات مترابطة يؤثر فيها السابق في اللاحق إن إيجابا أو سلبا.

ما مدى ارتباط اختراق الممالك المسيحية للمجال الأندلسي بوحدتها السياسية وقوتها العسكرية؟

- (1)- امحمد بن عبود، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، ( 1023/414م - 1091/484م )، مطابع شويخ >> ديسبريس << تطوان، 1983م، ص25.
- (2)- إن ما عرف بعصور ملوك الطوائف الثاني والثالث في الأندلس، هو في حقيقة الأمر استمرارية لما كرسه العصر الأول من أزمات داخلية، حيث سنتنشط من جديد عوامل الهدم الذاتية والموضوعية والتي ارتبطت بالفترات الانتقالية من حكم المرابطين والموحدين، كبيئة مناسبة لتحقق سنن الاضمحلال والسقوط.
- (3)- نرجح أن فترة حكم ملوك الطوائف، تجسد مرجعا نموذجيا في الوقوف على دور العامل الذاتي في تراجع إشعاع المسلمين وأسباب هزيمتهم.

وما دور الانقسام الداخلي وفساد الأخلاق في إضعاف مناعة الأندلس واستباحة أراضيها من طرف نصارى الشمال؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار فترة حكم ملوك الطوائف مرحلة مؤسسة لضياح الأندلس على المدى الزمني البعيد؟

## المحور الأول: السياق التاريخي لاختراق نصارى الشمال المجال الأندلسي وعلاقته بوحدة الممالك المسيحية:

### 1- سياق استباحة الممالك النصرانية المجال الأندلسي:

يبدو أن سقوط نظام الخلافة في الأندلس بعد قيام الفتنة الكبرى عام 422هـ، شكل حافزا مهما أمام نصارى الشمال للتحرش بممتلكات المسلمين، واعتماد منهجية قضم الأطراف، وشنهم لحروب دموية ضد المسلمين في إطار ما عرف بحركة الاسترداد، والتي توجت في مرحلة أولى بانتزاع طليطلة عام 478هـ. وقد شكل احتلال هذه المدينة الحصن بداية التطلع للسيطرة على كامل بلاد الأندلس، والتي اعتبرها الملوك النصارى بمثابة مجال حيوي بكل أبعاده الاقتصادية والدينية والحضارية. ولعل ما يجب استحضاره في هذا المقام أن ضعف النظم الخلافية في بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين، تزامن مع بداية خروج أوروبا المسيحية من عصورها الوسطى المظلمة، ومن حسن الحظ أن النظم العسكرية الناشئة في شخص الأيوبيين في المشرق والمرابطين في المغرب الإسلاميين أواخر القرن الخامس الهجري، أوقفوا إلى حين الزحف الصليبي الذي تمتع بالنفس الطويل وظل يتربص بالمسلمين طيلة القرون الموالية.

إذا كان سقوط نظام الخلافة بشكل نهائي بسبب أحداث فتنة قرطبة عام 1028/422م<sup>(4)</sup> نقطة تحول بارزة في تعطيل مسار وحدة الأندلس، فإن تسمية الرواية المصدرية هذه المرحلة بـ «أيام الفرق»<sup>(5)</sup>، يدل على كل معاني التشرذم السياسي والانقسام المجتمعي، وذلك «ذهابا في الكبر وتهوانا بالأمر، وعودا عن النصر، واستظهارا بأحزاب الكفر»<sup>(6)</sup>. فقد استبد «رؤساء الأندلس وثوارها [فيما] في أيديهم من البلاد والمعائل وبغى بعضهم على بعض والله الحول والقوة»<sup>(7)</sup>. كما «تميز أمراء الأندلس وملوكهم من قبائل البربر وغيرهم، وصاروا فريقين ما منهم من يحذر الآخرة»<sup>(8)</sup>، وذلك بعدما «طما بمُثَرِّفِها، سيل العناد والنفاق، فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقط رأسه ... فصار كل منهم يشن الغارة على جاره ويحاربه في عقر داره»<sup>(9)</sup>، مما عرى ظهر الأندلسيين وملوكهم، وفتح المجال أمام الممالك النصرانية،

(4)- قال ابن حزم بشأن فتنة قرطبة عام 422 هـ: «وأما ما سألتك عنه من أمر الفتنة وملابسة الناس بها، مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض، فهذا أمر امتحنا به، نسأل الله السلامة، وهي فتنة سوء أهملت الأديان إلا من وقى الله تعالى»: ابن حزم، مجموعة رسائل ابن حزم، ج3، ص173، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1960.

(5)- ابن الكردبوس، "تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط: نسان جديان"، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1965-1966، ج13، ص87.

(6)- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1979/1399م، القسم4، مج1، ص145.

(7)- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تاريخ إفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، تحقيق ومراجعة كولان وبروفنسال، بيروت - دار الثقافة، ط الثالثة، 1983م، ج3، ص152.

(8)- المصدر نفسه، ج3، ص219

(9)- المقرئ، فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ط1. دار صادر - بيروت، 1968، ج4، ص446.

بعد أن ضعف المسلمون >> عن لقاء عدو في الدين يعادي ويرأوح معاقلمهم بالعيث ويُعادي»<sup>(10)</sup>. فقد أصبحت عمليات اختراق المجال الأندلسي شيئاً معتاداً طيلة فترة حكم ملوك الطوائف، من خلال نهب وإحراق ممتلكات المسلمين، وسفك دمائهم واغتصاب المسلمات وسيهن نكايه في الأندلسيين.

ولعل النموذج الحي لواقع التشرذم السياسي زمن ملوك الطوائف، هو ما جسده كل من يحيى المأمون صاحب طليطلة، وسليمان بن هود صاحب سرقسطة، اللذان نعتتهما الرواية المصدرية بالأسدين المشنومين<sup>(11)</sup>، وذلك بالنظر إلى تركيسهما واقع استمرار الفتنة « من سنة خمس وثلاثين إلى سنة ثمانية وثلاثين، وفورقت بموت سليمان بن هود منهما»<sup>(12)</sup>، هذا الأخير الذي ورث عنه ابنه أحمد بن سليمان الحكم على صفيح ساخن، بعد أن «التمس مخالفة غرسية ملك نافار أخى فرناندو ملك قشتالة، وبعث إليه بالأموال والتحف»<sup>(13)</sup>. بينما المأمون بن ذي النون كان قد لجأ إلى التفاوض مع فرناندو ملك قشتالة، للانتقام من بني هود. «وهكذا سيستبيح الملوك النصارى أراضي المملكتين الإسلاميتين، بمساعي ابن هود وابن ذي النون الذميمة، وانهارت فيها خطوط الدفاع، وساءت أحوال المسلمين إلى أبعد حد»<sup>(14)</sup>. ولعل في استشهادهنا بهذا المثال، ما يؤكد حجم النكوص السياسي وتردي الوضع الاجتماعي والنفسي للرعية فترة حكم ملوك الطوائف، الأمر الذي كان ينبئ بعواقب وخيمة على مستقبل الأندلس، إذ «لم يزل أمر العدو يقوى ويظهر على ملوك ثغور الأندلس، إلى أن خرج الطاغية فرناندو بن شانجه ملك الجلائفة بأرض الأندلس بجيشه النصرانية إلى ثغر المسلمين بأرض الجوف»<sup>(15)</sup> فما هي حقيقة العلاقة بين قدرة نصارى الشمال اختراق المجال السياسي الأندلسي، واجتماع كلمتهم حول قضية استرداد الأرض؟.

## 2 - حدود وحدة الممالك النصرانية في عهد فرديناند بن شانجه:

إذا نحن انطلقنا من الرواية المصدرية الإسلامية التي تؤرخ لأحداث القرن الخامس الهجري (ق.11م)، سنجدنا نتحدث عن علاقة جد متوترة بين الملوك النصارى، والتي بلغت «من التنافس والتباعد والعداوة والحرب أشد ما بين آبيين»<sup>(16)</sup>، كتعبير عن صراع متأصل وذي جذور بين الممالك النصرانية، حتى مع ما أظهره فرناندو بن شانجه من عزم على توحيد مملكة أبيه الذي كان قد >> بسط سيادته على إسبانيا النصرانية»<sup>(17)</sup>، بعد أن خاض صراعات مريرة ضد ملوك عصره<sup>(18)</sup>،

(10)- المقرئ، فنج الطيب، م س، ص446.

(11)- هو مثال من ضمن أمثلة كثيرة كانت تعيش على وترها الأندلس في إطار العلاقة المتوترة بين ملوك الطوائف، فقد كان من المفروض وضع حد للصراعات السابقة بين الآباء، والسعي إلى العيش في ظل الوحدة والتضامن لدرء خطر الممالك النصرانية المتوترة. انظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص177.

(12)- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2003، ج2، ص177.

(13)- عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني : م.س، ص99.

(14)- عنان، نفس المرجع السابق، ص: 99 - 100.

(15)- ابن عذاري، البيان، م.س، ج3، ص238.

(16)- ابن عذاري، البيان المغرب، م.س، ج3، ص: 279.

(17)- أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين والموحدين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1996 / 1417، ج1، ص15.

وهي مؤشرات على سعي الرجلين إلى تحقيق الدولة الموحدة. إلا أن وفاة سانشو الأب عجلت بتقسيم تركته على أبنائه، الأمر الذي كان يخفي وراءه صراعا وشيكا بين الورثة<sup>(19)</sup>، وهنا لم يكن مفاجئا حسب أحد الباحثين أن نرى «الممالك النصرانية تضطرم على هذا النحو بنار الحرب الأهلية، ويسقط ملوكها الأصهار والإخوة صرعى خلاهم وأطماعهم»<sup>(20)</sup>. وهو ما مثل على ما يبدو تحديا كبيرا أمام أية دعوة لوحدة شاملة للنصارى، بعد «أن بدأت سلسلة جديدة من الحروب الأهلية بين الملوك الإخوة»<sup>(21)</sup>. الشيء الذي جعل الكنيسة تسعى بشكل حثيث لتدوير الصراعات الداخلية بين الملوك النصارى، وتحويل بوصلة الصراع صوب المسلمين من خلال التحريض عليهم، خاصة وأن الفرصة كانت مواتية فترة حكم ملوك الطوائف الطافحة بمختلف مشاهد الانقسام السياسي الداخلي.

إن هذا الدعم الكبير الذي قامت به الكنيسة الكاثوليكية، جعل الملك فرناندو بن شانجه يرأوده حلم توحيد الممالك النصرانية، التي عانت كثيرا من التبعية للمسلمين أيام الخلافة، غير أن هذا الحلم لم يكن ممكنا تحقيقه في بيئة سياسية تعدم فيها الثقة، إذ «نجد توجس راميرو ملك أراجون شرا، لنمو سلطان فرديناند... كما حمل الخطر المشترك ملكا نافارا و أراجون على توثيق تحالفهما»<sup>(22)</sup>. وقد حمل الطمع راميرو إلى «التفكير في الاستيلاء على مملكة نافارا نفسها»<sup>(23)</sup>، مستعينا في ذلك بحلف عقده مع حاكم سرقسطة ابن هود حوالي 1042م/434هـ. وستنتقل بعد ذلك عدوى الصدام بين فرناندو وغرسية<sup>(24)</sup>، بعد أن أصبح الأول « ملكا على مملكة قشتالة وليون الموحدة »<sup>(25)</sup>. ولأجل الحد من نفوذ أخيها، عقد غرسية حلفا مع أخيه وعوده القديم راميرو<sup>(26)</sup>، الذي وبعقلية <<برغماتية>> فيما يبدو، استغل هذا التحالف، فحشد كل ما استطاع من الجند والعدة للمواجهة الحاسمة، طمعا في الاستيلاء على ملك فرناندو، خاصة بعد أن أمده حليفه «المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بفرقة من

(18)- اعتمد سانشو الأكبر وابنه فرناندو على دور المصاهرة كوسيلة لانتزاع عرش ليون، بكل ما تحمله من معاني <<براغماتية>>. انظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي بالقاهرة. 1417هـ/1997م، ط 4، ص 378.

(19)- أشار عبد الله عنان إلى مناطق نفوذ أبناء شانجه الأربعة حيث حصل فرناندو على قشتالة وليون وجليقية وغرسية الإبن الأكبر على وطن أبيه الأصلي نافارا التي كانت عند نهاية القرن الرابع الهجري/ 10م أكبر الممالك المسيحية والتي توجد بين البرينيه ومنابع نهر الإيبورو، وحصل راميرو (الإبن غير الشرعي) على أراجون كمملكة صغيرة. أما كونزالو فحصل على منطقة صغيرة وسط منطقة البرينيه. لمزيد من التفاصيل، يُنظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، م س، ص 378.

(20)- عنان، دول الطوائف، م.س، ص 381.

(21)- عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، م.س، ص 378.

(22)- أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، م.س، ص 22.

(23)- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية - القسم الثاني عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 2، 1411 هـ / 1990، ص 379.

(24)- كان "غرسية" باعتباره الأخ الأكبر ينظر بعين الغيرة والحسد إلى استئثار أخيه الأصغر فرناندو بحكم مملكة شاسعة. عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، م.س، ص 380.

(25)- استطاع فرناندو توسيع المجال السياسي لمملكته عن طريق المصاهرة كما فعل والده من قبل، إلى جانب وضعه حدا لحياة صهره برمودة ملك ليون في معركة "تامارون" عام 1037م (429هـ). انظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين، م.س، ص 378.

(26)- قبل هذا التحالف، كان قد جهز جيشا كبيرا مدعوما فيه بالمسلمين في منطقة الثغر لانتزاع "نافارا" من غرسية نفسه، مستغلا غياب هذا الأخير فيما اعتبر حجا إلى روما. عنان، الطوائف، م.س، ص 379.

جنده»<sup>(27)</sup>. غير أن فرناندو استطاع وضع حد لهذا التحالف بقتل أخيه غرسية عام 1054م/446هـ في معركة حاسمة<sup>(28)</sup>. ولعل خير من عبر على هذا المشهد التصادمي بين الممالك المسيحية، المؤرخ الإسباني لافونتي موندستو<sup>(29)</sup> حين عبر قائلاً: «وكانما كان روح الطمع والحسد والمنافسة، متأصلاً في أسرنا الملوكية»<sup>(30)</sup>، واستطرد متحدثاً عن مشكلة توريث الحكم، حين رأى أن تقسيم سانشو الكبير المملكة القشتالية بين أبنائه ما كان إلا أن «>> زاد جراثيم الشقاق والموت»<sup>(31)</sup>. وهنا نجد صعوبة في فهم ما ورد في كلام أحد المؤرخين المسلمين المتخصصين في تاريخ الأندلس، وهو يتحدث عن تمكن إسبانيا النصرانية من «أن تمهد لتفوقها السياسي العسكري في شبه الجزيرة منذ أواسط القرن الحادي عشر، بسلسلة من الغزوات والفتوحات العظيمة»<sup>(32)</sup>، التي تبلورت على إثرها سياسة الاسترداد الإسبانية»<sup>(33)</sup>. ولعل مقام تحفظنا،

يرجع إلى ما يحمله مثل هذا الخطاب، من نبذة توجي للقارئ أن إحكام نصارى الشمال قبضتهم على الأندلس يرجع إلى قوتهم العسكرية واجتماع كلمتهم حول هدف واحد هو انتزاع الأندلس من ملوك الطوائف، والذي شكل خلاله سقوط طليطلة بداية النهاية، حسب أصحاب هذا الرأي، وبالتالي سنجد هناك من يتساءل عن سبب تأخر سقوط الأندلس إلى نهاية القرن التاسع الهجري، إذا كان نصارى الشمال بهذا الحجم من القوة وتحقيق الانتصارات الباهرة.

إنه ما كاد ينتهي فرناندو بن شانجه «من الصراع الداخلي الذي نشب بينه وبين إخوته، حتى تأهب لغزو أراضي المسلمين»<sup>(34)</sup> وتهديده الصريح للأندلسيين بحتمية ترك الأراضي لأصحابها حسب زعمه. بكل ما سيخلفه هذا التهديد من آثار سلبية على نفسية المسلمين، وهم يسمعون ويرون تخبط ملوكهم في صدامات تضعفهم وتعري ظهورهم لعدو نصراني متربص<sup>(35)</sup>، والذي سلك «خطة تعتمد على حرب الاستنزاف»<sup>(36)</sup> وتشتيت الصفوف»<sup>(37)</sup>.

(27)-عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، م.س، ص380

(28)- وهي المواجهة التي قتل فيها غرسية حوالي عام 1054م/446هـ، لينصب فرناندو ابن أخيه الهالك على عرش نافار مقابل الاعتراف بالتبعية لعمه.

(29)- لافونتي (1825 - 1868) هو صاحب "كتاب تاريخ إسبانيا العام" الذي تم إصداره عام 1861 في مدريد: تحت الاسم اللاتيني <<Historia general de Espana (1825 - 1868) Modesto Lafuente">>.

(30)-عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، م.س، ص379.

(31)- م.س، ص379.

(32)- يبدو أن سياسة غزو المجال الأندلسي من خلال نهب المحاصيل الزراعية وإظهار الوحشية في قتل وترهيب الناس، وضرب الحصار على المسلمين، والسيطرة على مجموعة من الحصون والقلاع ذات المقاومة الضعيفة، لا يمكن أن نعتبرها من الفتوحات العظيمة لفرناندو بن شانجه. بل حتى سقوط طليطلة، نرجح أنه لم يحصل عن طريق إنجاز عسكري عظيم، له علاقة بما امتلكه ألفونسو من إعداد عسكري، بقدر ما هو راجع إلى روح التخاذل والوهن الذي أصاب صاحب طليطلة حفيد بني ذي النون إلى جانب تكوص ملوك الطوائف عن الدعوة للجهاد.

(33)-عنان، دولة الإسلام في الأندلس-العصر الثاني، م.س، ص382

(34)- المرجع نفسه، ص380.

(35)- استغل فرصة تحريض بن ذي النون لهم لاستباحة مجال بني هود، فتم تجريد "المنطقة من سائر الزروع والأقوات، وقتل النصارى، وسبوا ما استطاعوا، ثم عادوا إلى بلادهم، كل ذلك وابن هود ممتنع في حصونه مجتنب للاشتباك مع المعتدين. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، م.س، ص99.

(36)- نرجح أن الطرف الذي يضطر إلى سلك حرب الاستنزاف يكون هو الأقل إمكانيات <<لوجيستيكياً وبشرياً>>، في الوقت الذي لم يكن الملوك النصارى - وفي مقدمتهم فرناندو - لم يكونوا مضطرين إلى حرب استنزاف ضد الأندلسيين، إذا نحن اعتبرنا جدلاً أنهم الطرف الأقوى، فترة قمة الضعف السياسي في الأندلس خلال حكم ملوك الطوائف.

ويبدو أن حرباً شعارها القتل والنهب وهتك الأعراض وسبي النساء، أمام خصم مفكك الأوصال والمتمثل في ملوك الطوائف، كان وراء خلق وضع نفسي خطير بين صفوف الأندلسيين عامة. ولا يمكن إيجاد تفسير لهذا الوضع إلا بما وجده نصارى الشمال الإسباني، في اختلاف كلمة حكام الأندلس، والتي شكلت فرصة كبيرة أمامهم اغتيموها من خلال الزحف على أراضي المسلمين<sup>(38)</sup>، «مدعين من قبل الكنيسة البابوية»<sup>(39)</sup>، التي رفعت من منسوب الحماسة الدينية للنصارى، ببعد صليبي استئصالي، للسيطرة على أرض الأندلس بالكامل، في إطار ما اعتبرته حرباً مقدسة. فقد استغلّت حركة الاسترداد منذ وقت مبكر من القرن الخامس الهجري >> ظهور حركة الطوائف الداخلية وضعف الخلافة الأموية بوجه عام لتشن هجماتها المركزة على الأراضي والثغور الإسلامية»<sup>(40)</sup>، على طول خطوط التماس في مناطق الثغر >> قبل أن تستولي بزعامة قشتالة على مدينة طليطلة سنة 478هـ/1085م»<sup>(41)</sup> وبالتالي هل هذا معناه أننا أمام واقع هبة جماعية لنصارى الشمال بزعامة فرناندو بن شانجه للإجهاد النهائي على الأندلس منذ أوائل النصف الثاني من القرن الخامس الهجري؟ خاصة بعد توحيد الرجل لكل من «قشتالة وليون ونبارة»<sup>(42)</sup>.

يبدو أن الفرصة كانت مواتية كما فهمها مؤرخ أوربي، إذ لم يكن في رأيه «ليستفيد من هذا الانحلال والتفكك في تلك البلاد إلا ملوك الإفرنج وحدهم»<sup>(43)</sup>. فقد كرس فرناندو >> السنوات العشرة الأخيرة من حياته لتوسيع رقعة مملكته على حساب ممالك الطوائف»<sup>(44)</sup>، كما انتقل من دور المنشط للفتن الداخلية بين ملوك الثغر، إلى حليف لبني ذي النون ثم إلى متحالف مع أحمد بن هود، وأخيراً إلى حامل لخطاب عنصري ضد مسلمي الأندلس، والذي ترجمه إلى أفعال وحشية، نظراً لما اتسم به من نزعة «دموية مروعة، تبدو واضحة في قسوته وفضاعته في معاملة المدنيين من أهل البلاد الإسلامية المفتوحة، وسفك دمائهم دون تمييز ولا حرج، واسترقاقهم جملة»<sup>(45)</sup>. وهنا يتجلى بوضوح استغلال فرناندو بشكل جيد وضع ملوك الطوائف المنقسمين على أنفسهم، لتكريس عملية إخضاعهم، وممارسة الإرهاب النفسي على الأندلسيين من خلال أدواته العسكرية الهمجية، نحو تسهيل مهمته في استباحة الأراضي الأندلسية. وهو وضع ساهم في اتساع مملكة قشتالة في عهد الرجل اتساعاً عظيماً<sup>(46)</sup>، بعد أن «دفعت حدودها إلى الجنوب وإلى الشرق والغرب على حساب المملكة الإسلامية»<sup>(47)</sup>.

(37)-القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، مارس 2002، ص120.

(38)-عز الدين موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق - بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص48.

(39)-القادري بوتشيش، إضاءات، م.س، ص120.

(40)-القبلي محمد، المغرب والأندلس والمجال المتوسطي مقدمات أولية وملاحظات، درس افتتاحي للسنة الجامعية 1992-1993م، مطبعة ناضاف- أكادير، المغرب الأقصى، ص7.

(41)-القبلي محمد، المغرب والأندلس والمجال المتوسطي، م.س، ص7.

(42)-توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب- تونس، غشت 1997، ج2، ص230.

(43)- دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، القاهرة، ط1، 2012، ص11.

(44)- توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، م.س، ص230.

(45)- عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، م.س، ص386.

(46)- عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، م.س، ص386.

(47)- نفسه.

غير أن هذا المشروع التوسعي لفرناندو سرعان ما اصطدم بصخرة الواقع الداخلي لمملكته، بعد أن اضطر أواخر حياته (1064/هـ458م)، وسيرا على نهج والده <<شأنجه>><sup>(48)</sup>، إلى تقسيم مملكة قشتالة الشاسعة<sup>(49)</sup>، «اجتتابا لكل نزاع بين أبنائه الذين يعرف حدة نفوسهم»<sup>(50)</sup>. إلا أن العكس هو الذي حصل، إذ ما قام به فرناندو كان «سبب الحرب الأهلية فيما بعد»<sup>(51)</sup>، وهو مؤشر يدحض على ما يبدو فكرة «جنوح الممالك النصرانية نحو التوحد»<sup>(52)</sup>. فقد نشبت بين الإخوة على «مدى ثلاثة أعوام حرب ضروس خربت وديان ليون وقشتالة»<sup>(53)</sup>. وهو ما يدفعنا إلى التأكيد على حجم أزمة الحكم البنيوية لدى نصارى الشمال، المتعلقة بمشكل توريث الملك، الذي كان يعني بالضرورة تقسيم المجال بين الورثة،

وهو مؤشر قوي لا يساعدنا حسبما نرجح، على الاقتناع بوجود سقف سياسي عال من حجم وحدة سياسية بدوافع قومية، لدى الممالك النصرانية المنتشرة من أقصى الشمال الشرقي لإسبانيا إلى أقصى الشمال الغربي، بل لم يتوفر هذا الشرط حتى بين أمراء مملكة قشتالة نفسها المتزعمة جدلا لحركة ما سمي بالاسترداد المدعومة بخطاب كنسي مغرق في صليبيته. لكن حتى مع هذا الواقع المأزوم داخل الممالك النصرانية، كيف سيأتي سقوط مدينة حصينة من حجم طليطلة التي صنعت المجد المؤقت لألفونسو السادس، وأول خنجر في جسم الأندلس؟

### المحور الثاني: أسباب سقوط طليطلة عام 478هـ ورد فعل ملوك الطوائف:

#### 1- وصول ألفونسو السادس إلى حكم قشتالة بالتزامن مع قمة الانقسام الداخلي للأندلسيين:

كان النورمان الغزاة قد استباحوا مدينة برْبُشْتُر<sup>(54)</sup> عام 456هـ، حيث اقترفت أيديهم جرائم بشعة في حق الأندلسيين من النساء والولدان والشيب، والتي جثمت بكل ثقلها النفسي على رعية المدينة المنكوبة، فقد «كان الخطب في هذه النازلة أعظم من أن يوصف أو يُتصَّي»<sup>(55)</sup>، وإذا كان ألكسندر الثاني قد شارك على ما يبدو في تشكيل الرحلة الاستكشافية ضد بريسترو في عام 1064 فإن غريغوري السابع هو الذي أصبح أول بابا يطور استراتيجية نشطة في اقتحام إسبانيا<sup>(56)</sup>،

(48)- ورد عند دوزي تحت إسم "سانكو". دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، م.س، ص108.

(49)- اعتبر أشباخ عملية التقسيم خطأ كبيرا وقع فيه فرناندو، وترتب على وقوعه نفس النتائج المحزنة: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، م.س، ص23.

(50)- أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، م.س، ص27.

(51)- المرجع السابق نفسه، ص27.

(52)- القادري بوتشيش، إضاءات، م.س، ص120.

(53)- أشباخ، م.س، ج1، ص28. ولمزيد من التفاصيل عن معركتي "بلنتادا عام / 1067م (حوالي 461هـ) و"جليباريس" عام 1071م(حوالي 467هـ) تُنظر: ص28-29، في الوقت الذي كانت فيه فرسان المرابطين تدك أركان الشرك والفرقة وتوحيد صفوف المغاربة تمهيدا لدخول تجربة وحدة الغرب الإسلامي من الباب الواسع بعد استتجاد الأندلسيين بهم.

(54)- «كانت صدرا في القلاع المنيفة، وعينا من عيون المدائن الموصوفة»، ابن بسام، الذخيرة، القسم3، مج1، ص87. ومن خلال الرواية المصدرية تبرز أهمية المدينة على المستوى الاستراتيجي والأمني، واختراقها من طرف النورمان، مثل أول انتهاك لحرمة الأندلس واستباحة لعرض نساءها وصبيانها.

(55)- ابن بسام، الذخيرة، م.س، القسم3، مج1، ص183. في هذا السياق جاء على لسان ابن حيان شاهد عصره، ما شهدته "بربشتر" من أهوال استباحة نصارى لها، وما ارتكبه في حق أهلها من جرائم القتل وانتهاك الحرمات، ما يتحرك له ضمير المسلم الحي، خاصة وأن مثل تلك الأحداث تخلف آثار نفسية لا يبرئ المجتمع منها بسرعة. انظر: ابن بسام، القسم الثالث، مج1، من ص181 إلى ص186.

و>>سُتُعرف عملية الغزو باسم الاسترداد، وهو ادعاء زائف إلى حد ما لـ "استعادة" ما فقدته القوط الغربيون قبل 400 عام<<(57). وإثر المآسي التي تركتها وحشية الاقتحام الصليبي للمدينة المنكوبة، سيتدارك المقدر ابن هود صاحب سرقسطة الموقف ويحرر المدينة المنكوبة عام 457هـ بعد أن توفر الحد الأدنى من الإرادة لدى نموذج واحد من ملوك الطوائف. فقد مد الأول يده لصاحب اشبيلية ابن عباد، وتمت الدعوة «للجهاد في سائر بلاد المسلمين، فحميت نفوس أهل الإسلام وجاءه منهم خلق عظيم لا يحصى عدده، ذكر أنه وصل من سائر بلاد الأندلس ... فاستولى المسلمون على المدينة وغسلوها من رجس الشرك»(58). وهنا درس، إذ أن عظمة الدولة بصفة عامة مرتبط «بالوحدة، وضعفها بالتشردم والتجزئة»(59)،

وبالتالي يظهر من خلال حدث استرجاع المسلمين مدينة بَرَبَشْتُر، أن السبيل الوحيد الذي كان أمام ملوك الطوائف لمنع أي اختراق للمجال الأندلسي، والتصدي لأي عدوان صليبي، مرتبط إلى حد بعيد باجتماع كلمتهم، وتحديد خطة عملية للردع والتصدي للعدو المشترك الناقم على المسلمين. وهنا بالذات يلوح لنا السؤال التالي: لماذا لم يستطع المسلمون في الأندلس الاستثمار جيدا في درس استرجاع بَرَبَشْتُر من يد النورمان، وذلك من خلال الدعوة إلى النفير العام ضد مملكة قشتالة المتوثبة تحت قيادة ألفونسو السادس؟.

يبدو أن ألفونسو السادس بعقليته النفعية ونظريته الاستشراقية، كان قد استغل وضعه كلاجئ سياسي في طليطلة، حيث >>أواه المأمون ابن ذي النون ونصره»(60) بعد أن كان قد تغلب عليه >>أخويه شانجه وغرسية، وأخذها طرفي سلكه من يديه..<<(61)، وهنا ستتاح الفرصة الذهبية للرجل لكي يقرأ بعمق عقلية ونفسية سكان تلك المدينة الحصن، إلى جانب رصده لحياة الترف والبخذ داخل قصور الأمراء والأثرياء، وميلهم إلى حياة اللهو والدعة. وبمجرد أن هبت رياح التغيير داخل البيت السياسي لقشتالة لمصلحته، «استولى على مملكة الشقيقين >>سانكو<< و>>غرسية<<(62) بعد أن قتل شانجه، وثقف غرسية(63)، وهي ظروف هيات له شروط إحياء مشروع أبيه، من خلال تشديد قبضته على ملوك الطوائف، وذلك بفرضه ضرائب ثقيلة أنهكت مختلف فئات المجتمع الأندلسي. فقد «كان الأذفنش ملكا مزعجا متعبا في طلب الإتاوة»(64)، قبل أن يدخل إلى مرحلة الاختبار الحقيقي للحكام المسلمين بعد سقوط طليطلة في يده. لكن هل استطاع الرجل أن يوحد بالفعل نصارى الشمال تحت رايته لأجل الظفر بالأندلس كلها؟.

(56)- Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista c.1018- c.1248; By Lucas villegas cas villegas Aristizabal BA (Hons); MA ; Thesis submitted to the university of Nottingham for the degree of Doctor of Philosophy. June; 2007. P:64.

(57)- Reconquista ; World History Encyclopedia ; by Mark cartwright ; published on 5 october 2018

(58)- ابن عذاري، البيان المغرب، م.س، ج3، ص227.

(59)- العماري عبد الله، اضمحلال دولة الخلافة ما بين ( 4 - 7 / 10 - 13 م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس، سلسلة رسائل وأطروحات رقم6، مطبعة سييما- فاس، ط1، 1424هـ/2003م، ص129.

(60)- ابن بسام، الذخيرة، م.س، القسم4، مج1، ص160.

(61)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(62)- دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، م.س، ص 108.

(63)- ابن الكردبوس، م.س، ص 76.

(64)- دوزي، م.س، ص108

فحتى بعد أن وضع ألفونسو يده على كل المجال السياسي لقشتالة، يظهر أن اعتباره أمراء قطلونية وملوك أراجون تابعين لمملكته في إطار من الوحدة، يكذبه الواقع السياسي للممالك المسيحية، ذلك أن «أراجون لم تكن تعترف بمثل هذه الدعوى، وكان لها باتحادها مع نافار من القوة ما يكفي لتدعيم استقلالها، أما إمارة برشلونة فكانت من الضعف بحيث كانت تغتبط بحماية قشتالة لها»<sup>(65)</sup>. وهنا يظهر لنا أن الممالك النصرانية لم تكن تميل إلى الوحدة الشاملة، بفعل طبيعة أنظمتها الملكية المغلقة، التي لم تتوفر لديها معايير محددة في إسناد الحكم لمن هو الأجدر به، والنتيجة الطبيعية لهذا الأمر تجسدت في أزمة وراثية الملك على المستوى الداخلي، والذي طالما تسبب في حروب دموية حتى بين الإخوة، كما كان حال حكام قشتالة.

هذه الأمثلة التي قرأنا من خلالها علاقة الممالك النصرانية، تجعلنا نرجح عدم جاهزية نصارى الشمال لخوض حرب شاملة وحاسمة ضد ملوك الطوائف، وانتزاع الأندلس منهم، رغم أنهم استطاعوا - في إطار من المنافسة والتحالفات المؤقتة - استباحة المجال الأندلسي باحتلال مواقع ومدن ذات أهمية على المستويين العسكري والتجاري،

على طول خطوط التماس مع الممالك الإسلامية في الشمال. لكن هل سقوط مدينة ذات أهمية كبرى استراتيجيا وحضاريا ورمزيا من حجم طليطلة، جاء ليحسد واقع التفوق العسكري النصراني والبدائية الحقيقية لطى صفحة المسلمين في الأندلس؟

بعد أن كانت الحرب سجالات<sup>(66)</sup> في السابق بين المسلمين والنصارى، يبدو أن المناخ السياسي العام المتمثل في «تفرق كلمة الأندلسيين»<sup>(67)</sup> خلال حكم الطوائف هو الذي يشكل الفرصة المناسبة لألفونسو السادس للاستثمار فيها بشكل جيد، نتيجة ما تملك حكام الطوائف والنخب التي تدور في فلكهم، من نفسية مهزومة، غلب عليها الخوف من النصارى والبحث على استرضائهم بكل الطرق، إلى جانب تغليبهم المصالح الضيقة والتشبث بحياة الرفاه والبذخ، والقابلية للعيش في إطار الانقسام والفرقة. ولعل لسان حال الأديب والشاعر الأندلسي أبو طالب عبد الجبار كان أقوى تعبيراً، وهو يقرن بين واقع الانقسام الداخلي في بلاد الأندلس، وانغماس ملوك الطوائف في الرذائل، وبين الخضوع لملوك نصارى الشمال وموالاتهم ضد إخوانهم في الدين، بعد أن كانت الممالك النصرانية تؤدي الجزية لبني أمية وللعامريين، قبل اضمحلال دولة الخلافة، كرمز للتبعية والخضوع للمسلمين.

واشتغلت أذهانهم بالخمير  
وزادهم في الجهل والخذلان  
وبالأغاني وسماع الزمر  
أن ظاهروا عصابة الصلبان<sup>(68)</sup>

## 2- مواقف ملوك الطوائف بعد سقوط طليطلة:

لقد تعامل الفونسو السادس بدهاء وهو يمهد للظفر بطليطلة المدينة المنيعه، حيث سيستغل واقع التنافر بين ملوك الطوائف، ليجعل من يحيى القادر حفيد نوي الفضل عليه فترة منفاه في طليطلة، ضحيته الأولى باعتباره الحلقة الأضعف،

(65)- أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، م.س، ص 146

(66)- ابن الكردبوس، مرجع سابق، ص 80.

(67)- دوزي، م.س، ص 124.

(68)- ابن عبد البر، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، الإنباه على قبائل الرواه المدخل لكتابه الاستيعاب، نشر مكتبة القدسي، مطبعة السعادة بالقاهرة عام 1350هـ، ص 72-73.

فيحيى هذا كان قد أضر به «ترف الحياة، ونعيم القصر حتى أصبح العوبة الخصيان... ولفداحة ما كان يرهق به رعيته من الظلم والمغارم، لم يسلس له قيادهم، فلجأ إلى الأذفونش يشكو إليه أنه لا يستطيع أن يملك زمامهم»<sup>(69)</sup>. أكثر من ذلك نجد أن عقلية التشبث بالأحقاد الموروثة، والجشع الفردي والحرص على الكسب وإيثار المصلحة الشخصية<sup>(70)</sup>، دفع بهذا «المتقلب من الألقاب السلطانية بالقادر بالله»<sup>(71)</sup>، إلى تكريس واقع الصدام والخلاف مع بني هود في سرقسطة وبني عباد في اشبيلية، لما كان بين آبائهم وأجدادهم «من العداوة والبغضاء»<sup>(72)</sup>، وهذه كلها ظروف نرجح أنها شكلت مفتاح التربص بطليطلة «واسطة السلك، وأشمخ ذرى الملك»<sup>(73)</sup>. ولأن الظفر بها سيشكل بداية خنق الأندلس وتطويرها تدريجياً، عمل ألفونسو بشكل حثيث على ابتزاز القادر، من خلال دفعه إلى إهانة رعيته أولاً، بعد أن أقسم على أن يجعل النساء والبنين رهنا في يد ملك قشتالة، إذا لم يأتوه بالمال الذي طلبه منه الطاغية، كما تنعته بذلك المصادر العربية، الشيء الذي دفع بأهل طليطلة إلى الاستغاثة بجارهم ابن الأفضس صاحب بطليوس<sup>(74)</sup>. وهو ما سيعطي فيما نرجح المشروعية لألفونسو للتظاهر بتقديم الدعم للقادر<sup>(75)</sup>، وذلك من خلال استدراجه لوضع حصني سرية وقورية في يده كرهن، «فأدخل فيهما اللعين ثقافته في الحين، وحصنهما أشد تحصين»<sup>(76)</sup>، مع ما يمثلانه من أهمية أمنية وأبعاد استراتيجية في مستقبل الأيام، وذلك مقابل استرجاع القادر حكمه في طليطلة. فقد كانت الرعية قد ثارت في وجهه بسبب مقتل العالم والفقير ابن الحديدي، في إطار مؤامرة داخلية خبيثة تتحدث المصادر عن تورط القادر<sup>(77)</sup> فيها. وقد فتح هذا الأمر الباب أمام ألفونسو، لكي يستبجح طليطلة «ينتسف مرافقها، فغلت الأسعار، وكثر القتل والجلاء والتخريب، وطفق سكانها يستصرخون ملوك الطوائف فلا يجدون معين»<sup>(78)</sup>، وبمجرد تسلمه أمر طليطلة، عمل على تمزيق ثروة يحيى القادر «وبدد حصونه حصنا حصنا، وذهب ديناراً ديناراً وهو مستسلم مرغم»<sup>(79)</sup>. وتؤكد الرواية المصدرية حجم الترددي والخذلان الممهد لسقوط مدينة عظيمة من حجم طليطلة، إذ «لم يزل التخازل يتزايد،

(69)- دوزي، مرجع سابق، ص123.

(70)- ابن عيود، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية، م.س، ص32.

(71)- ابن بسام، الذخيرة، م.س، القسم3، مج1، ص92.

(72)- ابن الكردبوس، م.س، ص80.

(73)- ابن بسام، م.س، القسم3، مج1، ص92.

(74)- تصف المصادر فراره في وجه ألفونسو بعد أن تذكر عواقب الطمع.. وأجلى مبادرا إلى بطليوس دار قراره، وذلك بعد أن كان طريق أكواب ودنان.. وتجاغت عن انتهابه الفتنة من فرش فخم، وسرادق ضخم. وأهل طليطلة الممتحنون في غمرتهم ساهون، وعلى أعقابهم ينكصون. لمزيد من التفاصيل يُنظر: ابن بسام، الذخيرة، م.س، القسم4، مج1، ص160-161.

(75)- ابن الكردبوس، تاريخ ابن الكردبوس، ص82-83.

(76)- م.س، ص83.

(77)- نقل ابن الخطيب انتقام آل العالم ابن الحديدي من يحيى القادر، وذلك بعد استدعاء أهل بلنسية ابن عكاشة قائد يوسف بن تاشفين، في مرسية، والتمكن من القادر الذي قرر في حقه القاضي ابن جحان، القتل، وذلك بيد فتى من بني الحديدي. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص180.

(78)- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، طبعة دار الشروق، عمان، 1997، ص19.

(79)- دوزي، مرجع سابق، ص126.

والنداب يتساند، حتى حلت الفاقرة وقضيت القضية وتُعجلت البلية بحصول مدينة طليطلة<sup>(80)</sup> في أيدي النصارى وذلك في سنة ثمان وسبعين<sup>(81)</sup>.

### المحور الثالث: الأسباب الرئيسية لضعف حكام الأندلس مقدمة لضياع الأندلس:

#### 1- علاقة احتلال طليطلة بحالة الوهن في صفوف ملوك الطوائف:

يظهر أن ألفونسو كان بارعا في سياسة استدراج القادر بن ذي النون، بل وساعده كثيرا الجو العام لنفسية ملوك الطوائف المأزومة، إذ أن متن الرواية المصدرية يشير بكل وضوح إلى أن نموذجا لملوك الطوائف من حجم ابن عباد مثلا،

يروج لخطاب فيه الكثير من معاني الخضوع والاستسلام، حين تجده يتحدث عن مطالب الزعيم النصراني بكونها مقتصرة على أخذ الجزية من المسلمين فقط، وأن «الله تعالى يسر من إنابته إلى السلم ما يسر»<sup>(82)</sup>. وهو على ما يبدو منطبق الاعتراف بالعجز، أمام سياسة ألفونسو المتسمة بالمكر والخداع التي مارسها مع القادر والتي قادت الأخير إلى تسليمه طليطلة. وهنا يسجل أحد الباحثين البارزين على ملوك الطوائف عدم استغلالهم «مفهوم الأرض لإذكاء وعي جماعي، فلم تكتسب الدولة الطائفية معنى الوطن حسب المفهوم الحديث»<sup>(83)</sup>، والذي من شأنه أن يشكل حافزا للدفاع عن الأرض من خلال دفع ضريبة الدم. فملوك الطوائف على ما نرجح لم يعودوا مستعدين لرفع راية الجهاد، مما جعل منهم رهائن للملوك النصارى، مقابل التثبيت بكراسي الملك. وإذا كان ابن عباد قد اقتنع بإنابة ألفونسو إلى السلم كما تحدثت المصادر عن ذلك، فإنه بمجرد تمكنه من طليطلة عام 478هـ (1086م)، غدت سرقسطة هدفة القادم، بعد أن «أقسم ليستولين عليها»<sup>(84)</sup>.

إن من علامات الضعف الذي أصيب به ملوك الطوائف، قيامهم بما يمكن اعتباره حروبا بالوكالة، خدمت إلى حد بعيد الممالك النصرانية المتصارعة، بعد أن أصبح حكام الأندلس «يداخلون طوائف الروم، ويكثري كل واحد منهم عسكريا بجملة من المال، يخرجها إلى بلد كاشحه، ويسلطه على من عانده ممن يجاوره من البلاد، حسدا له وطمعا في بلده أن يصير طوع يده، فكانت نيران الفتنة بينهم مشتعلة، والرعية مهملة»<sup>(85)</sup>، كما عملوا على طعن ظهر بعضهم البعض، بعد أن «جعلوا من أعداء أسلافهم أصدقاء يتقربون إليهم بثغور وأعراض المسلمين»<sup>(86)</sup>.

(80)- كان ألفونسو السادس خلال فترة منفاه على يد أخيه سانشو «قد عاين أمر طليطلة وعملها وتكشف عليها». ابن عذاري، ج3، ص232، و فطن لأهميتها الاستراتيجية ورمزية سقوطها في يده، بحيث هي «من الجزيرة كنقطة الدائرة، وواسطة القلادة، تدركها من جميع

نواحيها، ويستوي في الأضرار بها قاصيها ودانيها» ابن بسام، م.س، القسم 2، مج 1، ص249.

(81)- ابن بسام، الذخيرة، م.س، القسم 2، مج 1، ص249.

(82)- ابن بسام، م.س، القسم 2، مج 1، ص252.

(83)- امحمد بن عيود، م.س، ص67.

(84)- ابن عيود، نفس المرجع السابق، ص127.

(85)- ابن بسام، الذخيرة م.س، ج2، مج 1، ص254.

(86)- العماري. اضمحلال دولة الخلافة، م.س، ص146.

إلى الدرجة التي استولى فيها ألفونسو السادس على «ربع الأندلس دون أن يستعمل سلاحاً»<sup>(87)</sup>. فهل كان هذا الأمر سيحدث لو لم يقف ألفونسو السادس على حجم الضعف الذي أصاب الأمة الأندلسية؟

يبدو أن مصدر الشعبية التي اكتسبها ألفونسو السادس، إنما بسبب ضعف موقف حكام الأندلس المتشبهون بكراسي الملك، إذ «لولا اهتبال ملوك الطوائف بإقامة مرافقه وإصغائهم إلى هدر شقايقه، لطار شعاعا، وذهب ضياعا»<sup>(88)</sup>. وهو ما يدفعنا حسب ما تفصح عنه الرواية المصدرية خاصة المعاصرة لتلك الفترة الخطيرة من تاريخ الأندلس، إلى الاستنتاج بأن ألفونسو السادس لم يكن بتلك القوة التي من شأنها إنهاء حكم المسلمين وبسط نفوذه على البلاد بالكامل. ويبدو أن إمعان الرجل في إذلال أولئك الحكام، يرجع إلى تنافس كل واحد منهم «في شراء الذخائر الملوكية متى طرأت من المشرق كي يوجهها إلى ألفنش هدية، لينتقرب بها إليه ويحظى دون مطالبه لديه، إلى أن ضعف من أولئك الثوار الطالب والمطلوب، وذل الرئيس والمرؤوس... وصاروا للفنش عمالا يجيبون له الأموال لا يخالف أمره أحد»<sup>(89)</sup>.

فخطورة الموقف الخاص بالوضع السياسي داخل الأندلس لم يقتصر على ضياع طليطلة من الأندلسيين، بل أصبح ملوك الطوائف<sup>(90)</sup> «كلهم يدارون الطاغية ويثقونه بالجزى»<sup>(91)</sup>، وهو أمر لا يمكن إيجاد تفسير له حسب ما نرجح، إلا بجبن الحكام المسلمين في الأندلس، والتعلق بالدنيا والخوف على ضياع كرسي الحكم.

ولعل ما يلخص هذا الوضع الخطير، مقتطف من أبيات شعرية لعبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال (الشاعر الطليطلي)، والتي تحمل الكثير من الدلالات والأبعاد على المستويين السياسي والنفسي، قال فيها:

حثوا مطاياكم عن أرض أندلس      فما المقام بها إلا من الغلظ  
فالثوب ينسل من أطرافه وأرى      ثوب الجزيرة منسولا من الوسظ  
ونحن بين عدولا يفارقنا      كيف الحياة مع الحيات في سفظ<sup>(92)</sup>

إن الدرس المستفاد من هذا النوع من الإنتاج الأدبي<sup>(93)</sup>، والذي شهد انتشارا واسعا بعد احتلال طليطلة سنة 478هـ، يؤكد شيوع روح اليأس وعقلية التبرير والخوف من الأعداء، وهي علامات فيها نوع من القابلية للتفريط بالتدرج في أرض الأندلس،

(87)- مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 1413هـ/1992م، ص 195.

(88)- ابن بسام، م.س، القسم 4، مج 1، ص 165.

(89)- ابن الكردبوس، م.س، ص 77.

(90)- كابين حبوس صاحب غرناطة وابن الأظس في بطليوس وابن صمادح بالميرية.

(91)- المقرئ التلمساني، النفع الطيب، م.س، ج 1، ص 439.

(92)- المقرئ التلمساني، النفع الطيب، م.س، ج 4، ص 352، انظر أيضا ابن خلكان وفيات الأعيان، ج 4، ص 118.

(93)- انظر في هذا الإطار أهمية المادة المصدرية الأدبية في تقريب الواقع السياسي والاجتماعي في بلاد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وبالتحديد الأحداث التي شهدتها الأندلس والتي كانت تنذر بسوء المآل، نموذج حي لهذا الأمر جاء في مقال تاريخي للباحث المغربي الدكتور سعيد بنحمادة تحت عنوان: المجتمع والسلطة في المغرب والأندلس من خلال كتب الأمثال والأزجال، مجلة كان التاريخية، العدد 43، مارس 2019.

خاصة عندما تجد أحد أبرز وجوه ملوك الطوائف يحمل شعار «من لا يمكن مقاوamته ومخاشنته، فليس إلا مداراته وملاينته»<sup>(94)</sup>، وهي فيما نرجح عقلية استسلامية لا يمكن إيجاد تفسير لها، إلا بفساد أخلاق ملوك الطوائف والنخبة التي تدور في فلهم، من قضاة ومتقفين وذوي النفوذ<sup>(95)</sup>. إلى جانب فئات كبيرة من المجتمع الأندلسي التي كان الفساد بكل أشكاله ينخر جسمها، ويجعل لديها كل القابلية للعيش ضمن واقع الفتن، والاستسلام لواقع انتهاك نصارى الشمال حرمانها، بعد أن «فسدت أحوال الجميع بالكلية وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية»<sup>(96)</sup>، بعد أن «صب الله تعالى على أهل الثغور من الجبن عن العدو ما لا كفاء له، فلا يكاد أحد منهم يلقى نصرايا في قرار من الأرض إلا ويوليه الدبر غير مستحي من الله سبحانه من الفرار أمامه، حتى تعود أعداء الله ذلك منهم»<sup>(97)</sup>.

وسيشهد شاهد من أهلها عن أسباب موضوعية كانت وراء تطلع النصارى إلى استباحة أرض الأندلس، في سياق ما خاطب به المتوكل على الله بن الأفضس، ألفونسو المتوثب قائلا: >> أما تعبيرك المسلمين فيما وهن من أحوالهم، وظهر من اختلالهم، فبالذنوب المركوبة، والفرقة المكتوبة<sup>(98)</sup>.

نرجح بناء على ما سقناه من حجج وأمثلة، أن مشكل الغلبة والاستعلاء على مسلمي الأندلس من طرف نصارى الشمال كمقدمة لضياح الأندلس، لم يكن على مستوى الفرق في الإمكانيات البشرية والعسكرية، أو إلى قوة إرادة الملوك النصارى لتحقيق وحدتهم القومية، وذلك بالنظر إلى حجم المشاكل السياسية البنيوية التي ظلوا يجرونها وراءهم طيلة عقود بل وقرون<sup>(99)</sup>، وأبرزها مشكل توريث الحكم والتنافس الشديد على العرش بين الورثة من جهة، والتقاتل بين الممالك المسيحية في إطار توسيع مجالها السياسي من جهة أخرى. فأمر اضمحلال الدويلات الأندلسية ارتبط إلى حد بعيد بما هو أسباب ذاتية في ظل حكم الطوائف المتميز بالانقسام الداخلي، واستشراء الظلم وتردي أخلاق المجتمع الأندلسي، وشيوع روح الهزيمة النفسية واليأس والخوف من العدو.

## 2- فترة حكم الطوائف الإسلامية مرحلة مؤسسة لضياح الأندلس:

إن حجم التناقضات السياسية والاجتماعية التي كانت تعج بها الأندلس أيام الطوائف، والتي تركت جروحا غائرة لم يبرأ منها المجتمع الأندلسي — رغم ما تحقق من وحدة سياسية ومذهبية مع المرابطين — يلخصها الحديث الشريف في موضوع الوهن الذي أصيبت به الأمة الأندلسية وجعلها لقمة صائغة في يد الملوك النصارى.

(94)- ابن بسام، م.س، ج2، مج1، ص: 252.

(95)- بعيدا عن التعميم، كانت الأندلس حبلى بفقهاء وعلماء كانت لهم الكلمة الفصل في اجتماع كلمة الأندلسيين، حول حتمية الاستنجاد بالمرابطين كقوة عسكرية ومذهبية صاعدة، والذين أوقفوا المد المسيحي الصليبي إلى حين.

(96)- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، م.س، ص77.

(97)- ابن عذاري، البيان المغرب، م.س، ج3، ص280.

(98)- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، 1399هـ/1979م، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، ص36.

(99)- فقد تأخر احتلال الأندلس بالكامل إلى أواخر القرن 15/هـ، بعد أن ضعفت شوكة الدولة المركزية في المغرب الأقصى، الذي أنجبت أرضه أول تجربة وحدوية في بلاد الغرب الإسلامي مع المرابطين والموحدين، قبل أن تجتمع حولها مختلف عوامل الهدم الداخلية والخارجية التي معها تتحقق السنن التاريخية الخاصة بنهوض الدول وسقوطها.

فعن أبي عبد السلام، عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزع عن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت»<sup>(100)</sup>.

إن واقع ارتداء ملوك الطوائف في أحضان الملوك النصارى، لم يكن ممكناً إلا «بما حصل فيهم من خلق الانقياد وما رثموا من الذل»<sup>(101)</sup>. وهو ما يؤكد واقع الهزيمة المعنوية قبل العسكرية، بعد أن طغت عقلية عدم الاستعداد لأم شتات الوطن المجزئ، واستنثار النخبة بالمناصب والجاه وحياة الرفاه، مقابل تحمل الفئات المستضعفة مختلف أنواع القهر الاجتماعي الذي تجسد في استنزاف الفلاحين والصناع والتجار،

والاستزادة في تحصيل الضرائب لأن <>في المغارم والضرائب ضيماً ومذلة لا تحملها النفوس الأبية»<sup>(102)</sup>. وهي عوامل كانت كافية لكي يتداعى الملوك النصارى على المسلمين كما تداعى الأكلة إلى قصعتها كما ورد في الحديث الشريف، وذلك بسبب ما «أنسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة»<sup>(103)</sup>، بعد أن نزع الله من صدور الأعداء المهابة من المسلمين. ولعل المادة الأدبية المعاصرة للأحداث آنذاك لم تخطئ اللحظة، وهو ما وجدنا نموذجاً لها في مقتطف من قصيدة معبرة للفقير الأندلسي ابن العسال:

ولقد رمانا المشركون بأسهم	لم تخط لكن شأنها الإصماء
هتكوا بخيلهم قصور حريمها	لم يبق لا جبل ولا بطحاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها	في كل يوم غارة شعواء
ماتت قلوب المسلمين برعبهم	فحماتنا في حربهم جنباء

[ ... ]

لولا ذنوب المسلمين وأنهم	ركبوا الكبائر ما لهن خفاء
ما كان ينصر للنصارى فارس	أبدا عليهم فالذنوب السداء
فشرارها لا يختفون بشرهم	وصلاح منتحلي الصلاح رياء <sup>(104)</sup>

(100)- أخرجه أبو داود في سننه (2/ 210)، والروائي في مسنده (ج 2/ 134 / 25)؛ من طريق: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عنه، ورجاله ثقات كلهم غير أبي عبد السلام هذا فهو مجهول، لكنه لم يقرد به، بل توبع -كما يأتي- فالحديث صحيح.

(101)- ابن خلدون، " تاريخ ابن خلدون" المسمى ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان. 1421هـ/ 2000 - 2001 م، ج1، ص: 177.

(102)- المصدر نفسه والصفحة نفسها. وقد جاء كلام ابن خلدون في سياق حديثه عن عوائق الملك المذلة للقبيل والانقياد إلى سواهم.

(103)- إحسان عباس، تاريخ الأدب بالأندلس عصر الطوائف والمرابطين، م.س، ص 27-28.

(104)- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان - بيروت، ط 1-1975/ ط 2- 1984، ص 90-91.

وهو ما يلخص وضعاً خطيراً يؤكد حجم تكاليف العدو النصراني على الأندلس بسبب حالة ضعف حكام الطوائف، وتفكك المجتمع الأندلسي.

إن مرحلة تاريخية من حجم فترة حكم ملوك الطوائف تدفعنا إلى نوع من المغامرة الفكرية بتحميل المسؤولية التاريخية للأندلسيين قبل غيرهم في موضوع التفريط في أرض الأندلس<sup>(105)</sup>، وعلى رأسهم الأسر الحاكمة والنخب التي تدور في فلهم من أصحاب المصالح الشخصية، كما انضوى «تحت لوائهم من جماعات الأرقاء والفسدة، ومعتادي الإجرام»<sup>(106)</sup> خلق كثير. مع رعية أنهكها اليأس جراء المغارم القاسية،

وتفشى داخلها أصناف من الفواحش والمنكرات، فكانت النتيجة أن سرى داخل الأندلس «عقاب الله في أهلها جاحدي الحقوق، ومتعودي العقوق، ومقيمي أسواق الشقاق والنفاق»<sup>(107)</sup>، ليقطف النصراني الثمار من خلال «ضرب مدبرهم بمقبلهم»<sup>(108)</sup>، حيث «انتشر الروم على جميع الأقطار، وعاثوا في جميع الأمصار»<sup>(109)</sup>. والنتيجة سقوط عدد من الحصون والقلاع والمدن الأندلسية تواليها، بعد أن «ذل الرئيس والمرؤوس وافترقت الرعية، وفسدت أحوال الجميع بالكلية، وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية... وهم في ذلك مشتغلون بشرب الخمر، واقتناء القيان، وركوب المعاصي وسماع العيدان»<sup>(110)</sup>، فالإسراف والمنكرات بكل أصنافها، أصبحت شعار هذه الفترة الخطيرة من تاريخ الأندلس، إلى الدرجة التي دفعت أحد الباحثين إلى التأكيد على أنها «من الأسباب التي أدت إلى سقوط الأندلس في نهاية المطاف»<sup>(111)</sup>.

الخلاصة هو أن حالة العُثائية المقرونة بظاهرة الوهن التي تحدث عنها الحديث النبوي الشريف، تلخص واقع مجتمع أندلسي مريض<sup>(112)</sup>، عاش على وقع أزمات مركبة ومتعددة الأبعاد، أضعفت الحكام والمحكومين وكادت تحرق أرض الأندلس طولاً وعرضاً منذ وقت مبكر، أي منذ سقوط طليطلة مباشرة. قبل أن تجتمع كلمة بعض الحكماء من فقهاء الأندلس وعلمائها الأتقياء حول ضرورة «الاستصراخ بالمرابطين والاستنصار بأئمة المسلمين يوسف بن تاشفين»<sup>(113)</sup>،

(105)- في إطار إعداد مقاربة جديدة تهم ضياع الأندلس، أزع أنه بغض النظر عن كون الأندلس إرث حضاري إسلامي وجزء مهم من الحضارة الإسلامية التي شهدها الجناح الغربي للبلاد الإسلامية، فإنها شكلت عبئاً كبيراً على الدولة المركزية في مراكش سواء خلال العهد المرابطي أو العهد الموحد، بل ونرجح أن الأندلس كانت أحد الأسباب الرئيسية في اضمحلال حكم كل من المرابطين والموحدين، الذين معهم تحققت أول تجربة وحدوية في بلاد الغرب الإسلامي.

(106)- دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، م.س، ص 127.

(107)- ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق ذلك من الكلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2003م - 1424هـ، ج2، ص179.

(108)- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، طبعة دار الشروق، عمان، 1997، ص19.

(109)- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، م.س، ص89.

(110)- م.س، ص77.

(111)- القادري بوتشيش، إضاءات، م.س، ص158.

(112)- المقصود بالمرض هنا ماله علاقة بالوضع السياسي والأخلاقي والنفسي، وإلا فعلى المستوى الحضاري لم تتوقف الحركة العلمية والثقافية والعمرانية التي لازالت تجعل من إسبانيا قبلة سياحية عالمية بفعل مخلفات الحضارة الإسلامية. كما أن الحركة التجارية الداخلية والخارجية كانت تشهد نشاطاً دائماً، رغم تأثرها سلباً بواقع الحروب والصراعات سواء ملوك الطوائف فيما بينهم، أو حروب الممالك المسيحية الداخلية، إلى جانب صراع المسلمين والمسيحيين.

(113)- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، م.س، ص90.

هذا القائد الأمازيغي المسلم الذي قاد حملة إيقاف النزيف الداخلي للأندلس الجريئة، وحاداً من مسلسل استباحتها من طرف النصارى الذين ما إن وجدوا أنفسهم أمام فتح المرابطين لصفحة جديدة للجهاد، حتى نكصوا على عقبهم، بعد أن مرغ يوسف بن تاشفين أنف ألفونسو السادس في تراب الزلافة، وأنهى حلمه بضم الأندلس لمملكة قشتالة.

### خاتمة:

يظهر من خلال ما سقناه داخل هذه المقاربة الخاصة بالعوامل المسؤولة عن قدرة الممالك النصرانية اختراق المجال الأندلسي عبر مراحل زمنية طويلة، وصولاً في الأخير إلى إزاحة المسلمين عن حكم الأندلس وطردهم منها، بسبب دور العامل الذاتي تحديداً، فيما حصل من منزلقات خطيرة داخل بقعة جغرافية من حجم الأندلس، والتي سيكون لها تأثيرها الخطير على مستقبل ليس الأندلس فحسب، بل والمجال المتوسطي بكامله.

لقد وجد حدث ضياع الأندلس أساساً له حسب ما نرجح منذ فترة حكم ملوك الطوائف التي كرسست واقع التشرذم السياسي والانقسام المجتمعي الذي لن يقتصر على القرن الخامس الهجري، بل طال المشهد كل الفترات الانتقالية التي شهدت ضعف السلطة المركزية في مراكش خلال حكم المرابطين والموحدين، إذ من غير المستبعد أن تكون الأندلس بإكراهاتها المتعددة قد ساهمت في اضمحلال الدولة المركزية في العدة الجنوبية، التي كانت وراء استنابات أول تجربة وحدوية أصيلة شهدتها بلاد الغرب الإسلامي على المستويين السياسي والمذهبي.

### المصادر:

- 1- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1979/1399م، القسم4، مج1.
- 2- ابن حزم، مجموعة رسائل ابن حزم، ج3، ص173، تحقيق د، إحسان عباس، بيروت 1960.
- 3- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان - بيروت، ط1-1975/ ط2 - 1984.
- 4- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2003، ج2.
- 5- ابن عبد البر، القصد والأهم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، الإنباه على قبائل الرواه المدخل لكتابه الاستيعاب، نشر مكتبة القدسي، مطبعة السعادة بالقاهرة عام 1350هـ.
- 6- ابن الكردبوس " تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط: نسان جديان"، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمريد، 1965-1966، 13، 87ع.

7- مجهول، الحلل الموسيقية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، 1399هـ/1979م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1.

8- المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ط1. دار صادر - بيروت 1968، ج4.

### المراجع:

- 1- أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين والموحدين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1996 / 1417، ج1.
- 2- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، طبعة دار الشروق، عمان، 1997م.
- 3- بن عبود امحمد، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف، ( 414هـ/1023م - 484هـ/1091م )، مطابع شويخ << ديسبريس >> تطوان، 1983م.
- 4- توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب- تونس، غشت 1997، ج2.
- 5- دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، القاهرة، ط1، 2012.
- 6- سعيد بنحمادة، "المجتمع والسلطة في المغرب والأندلس من خلال كتب الأمثال والأزجال"، مجلة كان التاريخية، العدد43، مارس 2019، صص 84 - 101.
- 7- عز الدين موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق - بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.
- 8- العماري عبد الله، اضمحلال دولة الخلافة ما بين ( 4 - 7هـ / 10 - 13م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس، سلسلة رسائل وأطروحات رقم6، مطبعة سيياما- فاس، ط1، 1424هـ/2003م.
- 9- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية - القسم الثاني عصر الموحدين وانهايار الأندلس الكبرى، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1411 هـ / 1990.
- 10- القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، مارس 2002.
- 11- القبلي محمد، المغرب والأندلس والمجال المتوسطي مقدمات أولية وملاحظات، درس افتتاحي للسنة الجامعية 1992-1993م، مطبعة ناضاف- أكادير، المغرب الأقصى، ص7.
- 12- مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 1413هـ/1992م.

### مراجع أجنبية:

- 1- Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista c.1018- c.1248; By Lucas villegas cas villegas Aristiz abal BA (Hons); MA ; Thesis submitted to the university of Nottingham for the degree of Doctor of Philosophy. June; 2007.
- 2- Reconquista ; World History Encyclopidia ; by Mark cartwright ; published on 5 october 2018.

Doi: [doi.org/10.52133/ijrsp.v2.18.13](https://doi.org/10.52133/ijrsp.v2.18.13)